الخاتـمة

تناول هذا الكتاب دراسة لأهم الأعمال الروائية التى تعرضت بالنقد لمفردات الصهيونية وإخفاقاتها على كل المستويات السياسية والفكرية والاجتماعية خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين. وقد عالج البحث الرؤى الأدبية المختلفة تجاه الأيديولوجية الصهيونية وإخفاقاتها، وكذلك ما حققته من إنجازات.

وعلى ضوء ما تقدم، أمكن استخلاص النتائج التى تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة فى النقاط التالية:

(1) تبقى الأيديولوجية الصهيونية دوماً إشكالية معقدة تتداخل فيها اتجاهات ورؤى وفرضيات عديدة، وهو الأمر الذى أحدث سجالاً واسعاً فى الأدب العبرى الإسرائيلى بين الأدباء والنقاد الإسرائيليين، وأصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليه " صراع أدبى " بين الأدباء حول تقييم الصهيونية فى الأدب العبرى من ناحية، وبين النقاد الإسرائيليين من ناحية أخرى.

(2) يمثل الأدب العبرى الإسرائيلى بوصلة المجتمع الإسرائيلى، التى يمكن من خلالـها استنباط دلائل الإطروحات الفكرية والأيديولوجية ومدى تأثيرها على المجتمع الإسرائيلى. كما أن هذا الأدب الذى حمل الصهيونية فى رحمه وأسهم كثيراً فى إنجاز المشروع الصهيونى، بحيث يمكن القول، إن " الصهيونية الأدبية " سبقت " الصهيونية السياسية "، هو نفسه الأدب الذى وضع الصهيونية فى قفص الاتهام، وقام بمراجعة دقيقة وشاملة لمفرداتها واخفاقاتها على كل المستويات.

(3) مثلت الحروب التى خاضتها إسرائيل منذ قيامها وحتى الآن حلقة مفرغة تدور فى فلك الأيديولوجية الصهيونية، حيث عبر الكثير من الأدباء الإسرائيليين عن هذه الحلقة المفرغة من الحروب المتوالية فى عدد كبير من الأعمال الأدبية التى تغلغلت فى أعماق النفس الإسرائيلية، وكشفت لنا هذه الأعمال عن مرارة نفسـية عميقة وشعور بالخطر الدائم حتى فى أوقات الانتصار، وهو الأمر الذى جعل الكثيرين من الأدباء الإسرائيليين يضعون علامات استفهام عديدة حول الصهيونية، وحول تدنى قدرتـها على مواجهة التحديات التى تواجهها دولة إسرائيل. وقد تأثر هذا التقييم بالاهتـزازات التى تعرضت لـها أهداف الصهيونية ووسائل تحقيقها، ومن هنا تمت المراجعة لمدى قوة الصهيونية فى تحقيق أهدافها، وارتبط هذا التقييم بالأحداث التى أشارت إلى نجاحات الدولة وفشلـها أكثر من أى شىء آخر.

(4) عبر الأدب العبرى فى فترات وجيزة عن أهداف الصهيونية وتطلعاتها بإخلاص تام، ولكنه سرعان ما اتجه، بعد أن واجهت الدولة الكثير من المشكلات الداخلية والخارجية، إلى الشكوكية الشاملة فى التعامل مع مدى صدق الصهيونية فى نهجها وفى احتمالات تحقيق مشروعاتها (الإقليمية، والديموجرافية، وغيرها). ووصل الأمر إلى القول بأنه لم تعد هناك حاجة إلى الصهيونية الكلاسيكية بعد أن أقيمت الدولة، وبات الجو مهيأ لفكرة الانفصال عن الصهيونية والبحث عن بديل جديد يتوافق مع الواقع المعاش بمتغيراته، وهو ما فعلـه الأديب الإسرائيلى " أ.ب يهوشواع " فى رواية (مولخو)، وهام فى الأفق التنكر لكل مبدأ صهيونى يسعى إلى ترسيخ مفاهيم ونظريات عفا عليها الزمن، ولا تتلاءم مع الوضع الراهن لدولة إسرائيل. وبـدا أن هناك شبه اتفاق على أن الصهيونية قد آن أوان تشييعها إلى مثواها الأخير، وبخاصة فى فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين.

(5) أجمعت الأعمال الأدبية التى تم دراستها فى هذا البحث، على تحطم " بوتقة الانصهار " التى حلمت بها الصهيونية على مدار عقود عديدة، وانهيار مشروع الصهيونية الأكبر وهو عودة الطبيعية بعودة يهود الشتات إلى فلسطين، بعد أن أصبح النزوح عن إسرائيل منذ قيام الدولة فى تزايد مستمر شأنه شأن تزايد الصراع الدينى العلمانى والصراع الإشكنازى السفارادى داخل المجتمع الإسرائيلى.

(6) ادعاء الصهيونية بالحق التاريخى فى فلسطين، هو ادعاء خاطئ وأسطورة تنفى حقوق العرب الفلسطينيين فى هذه الأرض، حيث إن تواجد الفلسطينيين على هذه الأرض يسبق التواجد اليهودى بآلاف السنين وهو ما كشفت عنه المكتشفات الأثرية. وينظر " شاليف "، فى روايته (رواية روسية)، إلى ادعاءات الصهيونية بالحق التاريخى لليهود فى أرض فلسطين على أنها أسطورة خرافية ابتدعتها الصهيونية من أجل تشجيع الـهجرة إلى أرض فلسطين والاستيطان فيها.

(7) ادعاء الصهيونية بالحق الدينى لليهود فى أرض فلسطين إدعاء خاطئ وأسطورة دينية – كما ذهب شاليف أيضاً، فى روايته (عيسو) – والقول بأن هناك حلفاً دينياً خاصاً بين اليهود والرب الذى وعدهم بموجبه بهذه الأرض وبالاستناد إلى ما ورد فى العهد القديم، هو افتراء وكذب، حيث إن هذه الأرض كانت أرض غربة بالنسبة لليهود؛ وطبقاً لما ورد فى العهد القديم أيضاً.

(8) من الخطر الاعتماد على أسطورة المقرا – كما يرى شاليف فى رواية (عيسو) – التى تحل حالات النزاع حول الميراث بتخلى أحد الأخوين عن الميراث فهذا أمر لا يمكن حدوثه على أرض الواقع. ويؤكد " شاليف " على أن القصص المقرائية التى حكت عن إمكانية حلول مثل هذه تعد (أساطير)، وتقترب كثيراً من الخيال المختلق الذى يقدم حلولاً لن تحدث على أرض الواقع، مشيراً إلى اعتماد الصهيونية على الأساطير الدينية فى حل الصراعات، ويؤكد " شاليف " على أنه إذا كانت الجولة الأولى من الصراع قد حسمت لصالح " يعقوب " فعلينا أن ننتظر نتيجة الجولة الثانية.

(9) اتفقت الأعمال الأدبية التى تم تناولـها فى هذا البحث، على فشل الصهيونية فى إعداد ورثة لجيل المؤسسيين الصهيونيين. ويكمن هذا الفشل الصهيونى فى آباء الأسرة الذين حلموا بشخصية جديدة تناقض شخصية " اليهودى الجيتوى"؛ فخلقوا شخصية " الصبار " أو العبرى الجديد لتدل على هدف الصهيونية فى استخدام الميراث على مدار أجيال عديدة، فلم تنجح تنبؤات المؤسسيين لتحقيق ذلك فى الأجيال اللاحقة، وانتحى مشروع المؤسس جانباً وهجر ودمر على يد نسلـه بعد ما ظهر الوريث الشرعى غير مؤهل لاستكمال الدور وحمل الراية، وعلى الرغم من اتجاه الآباء المؤسسيين إلى التبنى، (أى تبنى وريث غير شرعى) فإن هذا الوريث هو الآخر كان غير جدير بهذه الثقة، وبالتالى فإن (مرحلة النجاح) التى حققتها الصهيونية فى إعداد هذا الجيل أعقبتها (مرحلة الفشل)، وهى رؤية اتفق عليها كل من "عوز" و"يهوشواع" و"شاليف" فى أعمالـهم الأدبية التى تم دراستها.

(10) يشهد الأدب العبرى الإسرائيلى نوعاً من " المناورة الأدبية "، أحياناً، بين أدباء اليمين الصهيونى وأدباء اليسار، حيث دائماً ما يتخذ أدباء اليسار الإسرائيليون زمام المبادرة فى طرح القضايا الفكرية والسياسية على الساحة الأدبية، ولـهذا فإنه لا يمكن قراءة الأدب العبرى فى إسرائيل إلا من خلال هؤلاء الأدباء اليساريين تحديداً. أما أدباء اليمين الصهيونى فتأتى أعمالـهم عادة ليس بروح المبادرة، ولكن من خلال الرد الدفاعى على ما يثيره كتاب اليسار من قضايا فى نقد أو إعادة تقييم الصهيونية أو طرح الحلول لإخراج الصهيونية من مأزقها، مثلما فعل الأديب الإسرائيلى اليمينى " ناتان شاحام "، الذى كتب روايته (فى قلب تل أبيب) لتمجيد المشروع الصهيونى ورداً على روايات " شاليف " المعادية للصهيونية.